مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٢) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (2) 2021

ملامح من نظرية المحاكاة الصوتية

أ.د. حسين حبيب وقّاف*

ديمه سمير جوريه**

(تاريخ الإيداع ٥ /١٠ /٢٠٢٠. قُبِل للنشر في ١١/٢ /٢٠٢١)

□ ملخّص □

إذا تأملنا مفردات اللغة فإننا نجد صوراً عديدة ومظاهر مختلفة، ترتبط فيها أصوات الكلمة بالمعاني التي يعبر عنها بها، ومن هذه الروابط محاكاة أصوات حروف الكلمة وحركاتها للأصوات المسموعة في الطبيعة التي تمثلها الألفاظ لدى نطقها كأصوات لغوية، فيأتي النسيج الصوتي للكلمة مماثلاً لأصوات ما يعبر عنه في الطبيعة، فكثير من الكلمات الدّالة على أصوات الإنسان، والحيوان، والأشياء، وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره تحاكي أصواتها أصوات الظواهر التي تعبر عنها، وتترتب الأصوات في اللفظ بما يشاكل أصوات الحدث في الواقع.

إن علاقة اللفظ بالطبيعة ومحاكاة أصواتها ظاهرة قديمة وحديثة، وقد ظهرت بذورها عند الشعوب القديمة من الهنود، والإغريق، والرومان، والعرب، وغيرهم، وانقسمت الآراء تجاه مسألة العلاقة بين اللفظ والطبيعة إلى فريقين، فريق يرى أن الصلة طبيعيّة وحتمية، وفريق يراها صلة اصطلاحيّة اعتباطيّة، ولكن هذه الظّاهرة تبدو بوضوح في العربية، وتلوح مظاهرها في جوانب اللغة المختلفة، مما أفسح المجال لاستقرائها برؤى مختلفة من قبل علماء العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الدال ومدلوله، الدلالة الصوتية.

*أستاذ في قسم اللّغة العربيّة، اختصاص النحو والصرف، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

**طالبة دراسات عليا (ماجستير) في قسم اللغة العربية، اختصاص لغويات (النحو والصرف)، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٢) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (2) 2021

Features of the theory onomatopoeia

prof. Dr. Hussein Habib Waqqaf*
Dimah Samir Jourieh**

(Received 5/10 /2020. Accepted 11/2/2021)

□ ABSTRACT □

If we look at the vocabulary of the language, we find many different forms and manifestations in which the sounds of the word are related to the meanings in which it is expressed, and from these links the simulation of the sounds of the letters of the word, and its movements for the sounds heard in nature, which are represented by the words when they are pronounced as linguistic sounds, so the phonemic texture of the word comes similar to the sounds of what It is expressed in nature, as many words indicating human and animal sounds and things, and some words indicating actions that humans or others make, their sounds mimic the sounds of the phenomena that they express, and the sounds are arranged in the pronunciation that resemble the sounds of the event in reality.

The relationship of articulation with nature and the simulation of its sounds is an ancient and modern phenomenon, and its seeds appeared among the ancient peoples of the Indians, Greeks, Romans, Arabs and others. Opinions regarding the issue of the relationship between articulation and nature were divided into two teams, one team that believes that the connection is natural and inevitable, and one that sees it as an arbitrary terminological connection, but this phenomenon appears. Clearly in Arabic, and its manifestations appear in different aspects of the language, which allowed the extrapolation of this phenomenon with different visions by Arab scholars.

Key words: The signifier and its significance, acoustic significance .

* Professor in the Department of Arabic Language, specialization in grammar and morphology, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Tartous, Syria.
** Postgraduate student (Master), Department of Arabic Language, Department of Linguistics (Grammar and Morphology), University of Tartous, Tartous, Syria.

المقدِّمة:

إنّ قضية العلاقة بين الصوت والدلالة من القضايا الخلافية التي كانت ولا تزال تسترعي اهتمام علماء اللغة والباحثين في مختلف فروع المعرفة.

وهذا البحث حاول أن يسهم في إظهار هذه العلاقة بين الصوت والدلالة في إطار محاكاة الأصوات في الطبيعة.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من أنّه يتناول موضوعاً مهماً، كان مثار جدلٍ منذ القديم وإلى الآن في دراسة البنية الصوتيّة التي تعدّ اللبنة الأولى لتكوين الكلام، وتعدّ من أهمّ مظاهر الدّراسات اللسانية المعاصرة، وقد انتبه العرب قديماً لأهمية الصّوت في بناء الكلام، وبناء المعنى، والكشف عن الدّلالة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تأكيد حقيقة طالما تردّدت في كتب النحاة واللغويين، هذه الحقيقة تُعنى بوجود علاقة وثيقة بين الصوت والدلالة، كما يهدف إلى بيان أثر الصّوائت، والصّوامت، والصّيغة في الدلالة على المعنى.

مشكلة البحث: تتجلى مشكلة البحث في إيجاد مادة علمية مهمة جديدة بفكرها وأسلوبها، توضح علاقة الصّوت بالدلالة، وتلقي الضوء على هذا الجانب من جوانب اللغة، وتبين جمال اللغة العربية.

منهج البحث: سيتم اعتماد المنهج الوصفيّ؛ لأنّهُ المناسب لطبيعة البحث وأهدافه، ويقوم الباحث فيه بجمع المادة البحثية، واستنباط الأفكار ووصفها وتحليلها.

الدّراسات السابقة: هناك دراسات تناولت بين طياتها خصائص الأصوات ودلالتها، ودراسات تناولت علاقة الصوت بالدلالة في بعض أشعار الشعراء، منها:

عناصر تحقيق الدلالة في العربية_ دراسة لسانية، (2003م)، صائل رشدي شديد، إشراف أ. د نهاد الموسى، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه، كلية الدراسات العليا ـ الجامعة الأردنية.

الصوت والدّلالة في شعر الصعاليك(تائية الشنفرى أنموذجاً)،(2006 /2007م)، عادل محلو، إشراف أ. د سعيد هادف . عبد القادر دامغي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، الجمهورية الجزائريّة.

الأثر الدلالي للأصوات القوية في ألفاظ القرآن الكريم (سورتا القمر والبروج أنموذجاً)، (2012/2011م)، لخضر ديلمي، إشراف د. كمال قادري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر).

الصوت بين المعيارية والموضوعية عند الخليل الفراهيدي،(2003)، جعفر يايوش، إنسانيات، العدد 21 ، ص ص 36 – 83 .

أولاً: المحاكاة الصوتيّة عند القدماء والمحدثين:

تدّل كلمة المحاكاة في معناها العام على المماثلة والمشابهة في الفعل والقول، فقد جاءَ في المعجم أنّها من (حكي): " الحكاية: كقولك حكيت فلاناً وحاكيته فَعلت مثل فِعله أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيتُ عنهُ الحديثَ حكاية[...]. يُقال حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة والمحاكاة المشابهة، تقول: فلانٌ يحكي الشمس حسناً ويحاكيها بمعنى. وحكيتُ عنهُ الكلام حكاية، وحكوت لغة؛ حكاها أبو عبيدة. وأحكيتُ العقدة أي شددتها كأحكأتها". [١]

أمّا " الصوت: الجرس[...] وقد صات بصوت، ويصات، صوتاً وأصات، وصوّت به: كلّهُ نادى[...] ويقال صاتَ يصوت صوتاً، فهو صائت معناه صائح – ابن السكيت الصوتُ صوت الإنسان وغيرهُ" [٢] .

فالمحاكاة الصوتية، هي مشابهة بين الصوت الناتج عن لفظ بعض الكلمات، والأصوات المسموعة في الطّبيعة مثل الضّوضاء، أو أصوات الحيوانات ...

" عرّف ابن الحاجب (ت 646) أصوات الأشياء تعريفاً موجزاً بقوله: كل لفظ حكي به صوت أو صُوِّت به للبهائم" [٣]

إلّا أنّ الأصوات التي يصوّت بها الإنسان لغيره أو للحيوانات عند طلب شيء منها سميت أصواتاً؛ لأنها ليست كلمات، ولأنها ليست موضوعة لمعانٍ معروفة كما في (رجل) مثلاً، و إنما هي مجرد حكاية لأصوات بهائم، أو جمادات، أو أصوات عفوية يصدرها الإنسان.

إنها تسمى حكاية من باب التّجوّز، لأنّ شرط الحكاية أن يكون مثل المحكي، فالحيوانات التي أريد بها حكاية أصواتها عاجزة عن الإفصاح عن الحروف، وتصويت الحيوان خاص به، ويتعذر على الإنسان التعبير الأمين عن تلك الأصوات بحروف مركبة، لهذا أطلقنا هذا المصطلح من باب التقريب والتجوز، لا على الحقيقة. [٤]

إذن المحاكاة الصوتية تعني أنّ اللفظ يحاكي المعنى، أي هناك كلمات في اللغة العربية مرتبطة بدلالاتها الصوتية بشكل ملموح ، إذ كانت ألفاظها بصفات حروفها الصّوتية لها وقع نفسي، يوحي بتلك الأحداث التي تدّل عليها، وتعبّر عنها.

1ـ المحاكاة الصوتيّة عند القدماء:

لقد شغلت مسألة الربط بين الصّوت ومدلوله حيزاً كبيراً من كتابات العلماء، والمفكرين، والنحويين، والفلاسفة القدماء، وقد برز الخليل (ت 175) كأوّل متحدث في هذه القضية من العرب محاولاً إثبات العلاقة الطبيعية بين الصّوت والدّلالة، قال " كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالةً ومدّاً فقالوا: صرَّ، وتوهموا في صوت البازيّ تقطيعاً فقالوا: صرصر " [٥] ، فالخليل يبرهن كما يتّضح على أنَّ صوت الكلمة يحاكي معناها، فصوت الجندب فيه استطالة ومدّ، لذا يناسبه صوت كلمة صرّ دون تقطيع، وصوت البازيّ فيه تقطيع لذا يناسبه لفظ صرصر.

---

[١] *لسان العرب*، (د.ت)، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، المجلد الرابع عشر، مادة حكي.

[٢] المصدر السابق، المجلد الثاني، مادة صوت.

[٣] *شرح شافية ابن الحاجب، 402 هـ-1982م*، الرضي الاستراباذي نجم الدين محمد بن الحسن، تحقيق محمد الزفزاف، بيروت، دار الكتب العلمية، 117/3 .

[٤] ينظر: *المعجم المفصل في الألفاظ الدالة على الصوت في اللسان العربي*، (د.ت)، د. آدم بمبا، بيروت – لبنان دار الكتب العلمية، 11-12

[٥] *الخصائص* ،(د. ت)، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، 2/ 152 .

وقد ذكر الخليل مصطلح الحكاية في قوله: و" أمّا الحكاية المضاعفَة فإنّها بمنزلة الصّلصلة والزّلزلة وما أشبهها يتوهمون في حُسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصّوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف" [١] ، على حين يصرّح بحكاية الصوت في موضع آخر إذ يقول: " والصوقرير: حكاية طائر يصوقر في صياده تسمع هذه النغمة في صوته". [٢]

وتابعه في ذلك تلميذهُ سيبويه ت(180هـ) حين ربط بين الصّيغة والمعنى في حديثه عن مصدر (فعلان)، ودلالته على الحركة، والاضطراب يقول: " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان والنقزان وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العَسَلان والرتكان". [٣]

وهنا نرى سيبويه كيف ربط بين الصّيغة والمعنى، وضرورة دراسة الصّوت اللغوي لكشف ما في الظّواهر اللغوية من دلالات صرفية ونحوية.

وقد سارَ ابن دريد (321هـ) في كتابه (الاشتقاق) على هذا الطّريق في القول بالعلاقة بين الصّوت ومدلوله، وقد قام بتفسير أسماء العرب بناءً على الصّلة بين تلك الأسماء ومدلولاتها، فحينما سُئِلَ عن سبب تسمية العرب أبناءها بالأسماء المستشنعة، وسمَّت عبيدها بالأسماء المستحسنة، أجابَ قائلاً: "لأنّها سمّت أبناءها لأعدائها، وسمّت عبيدها لأنفسها [...] فمنها ما سموه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب، وغلّاب، وظالم [...] ومنها ما سمِّي بالسباع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفراس [...] ومنها سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطئه مثل حجر وحجير، وصخر وفهر [...]." [٤]

وقد ذهب ابن جني(ت 392هـ) إلى إيجاد الصلة بين جرس الصّوت، وترتيب أصوات الكلمة الواحدة بتقديم ما يضاهي أوّل الحديث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب، كما أنّهُ ربط بين المسميات وأصواتها ويمثّل لتسميتهم الأشياء بأصواتها فيقول: "كالخازباز لصوته، والبط لصوته .." [٥]

ويجسد معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت٣٩٥هـ) تطبيقاً عملياً للربط بين الصوت والدلالة، فهو يقوم على العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، وقد ناقش العلاقة في كتابه (الصاحبي) أيضاً في أكثر من موضع منهُ: " القلمُ لا يكون قلماً إلّا وقد بُري وأصلحَ وإلّا فهوَ أنبوبة. وسمعتُ أبي يقول: قيل لأعرابي ما القلم؟ فقالَ: لا أدري، فقيل لهُ: توهّمه فقالَ: هوَ عود قلم من جانبيه كتقليم الأظفور فسمي قلماً" [٦] ، ونلاحظ هنا كيف ربط ربط الأعرابي بين اللفظ ومدلوله.

---

[١] *كتاب العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (1409هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط٢، إيران، مؤسسة دار الهجرة، 1/ 55.

[٢] المصدر السابق،299/2.

[٣] *الكتاب*، (د.ت)، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط1، بيروت، دار الجبل،14/4.

[٤] *الاشتقاق*،(1991)، ابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، القاهرة، بيروت، مكتبة الخانجي، دار الجبل،5 .

[٥] الخصائص،165/2.

[٦] *الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها* ، (1418هـ-1997م)، أحمد بن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، ط١، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 61 .

إلّا أنَّ قضية الأصوات ودلالتها لم تسترعِ اللغويين العرب فقط، بل كانَ قبلهم الفلاسفة في جدال عميق حول هذه القضية، وقد انقسم المفكرون من الفلاسفة فئتين، فمنهم من آمن بوجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، وكان من هؤلاء أفلاطون، وأخذ سقراط يمني النفس بتلك اللغة المثالية التي تربط بين ألفاظها ومدلولاتها ربطاً طبيعياً ذاتياً، وهناك طائفة أخرى من الفلاسفة يتزعمها أرسطو، ذهبت إلى عدم وجود علاقة طبيعية، وذهبت إلى أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول هي اصطلاحية، تواضع عليها الناس. [١]

2 ـ المحاكاة الصّوتية عند المحدثين:

لم يخرج المحدثون في مناقشاتهم لعلاقة الصّوت بالدلالة عن طريقة الأسلاف، فقد بدا الدكتور رمضان عبد التواب متأثراً بابن جني وإن لم يصرّح بذلك، فقد أفرد عنواناً سمّاه بـ(المحاكاة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى). [٢]

وقد ألف أحمد فارس الشدياق (ت1888م) عدّة كتب، كان جلّ اهتمامه فيها منصبّاً على العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، وما يتعلق بذلك من إبدال، وقلب، وغير ذلك من القضايا اللغوية، وأبرز هذه الكتب كتابه (سرّ الليالي في القلب والإبدال)، تحدث في مقدمته عن مناسبة الأصوات لمعانيها، وكتاب (منتهى العجب في خصائص لغة العرب)، حيث ناقش فيها دلالة الأصوات الأبجدية. [٣]

وقد بدا صبحي الصالح متأثراً أيضاً بما صنعه ابن جني، وأيده فيما يتعلق بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، وهذا ما يظهر في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، يقول: " أمّا الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية"، [٤] نرى هنا أنّ بعض بعض الباحثين عبّروا عن (علاقة الصوت بالمعنى) بالمناسبة الصوتية، أو القيمة التعبيرية، أو الدلالية.

أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فإنَّ مواقفه من هذا الموضوع متباينة؛ ففي حين سدد سهامه إليها، وأنكرها في المشهور من مواضعها كالأصوات المسموعة؛ نراه يعود في موضع آخر إلى إثباتها، وتبسيطها، والمدافعة عنها، وذلك عندما يبيّن أنّ حروف المد دوال على المعاني، وذهب إلى أنّ الإنسان كان ينطق بطريقة مبهمة لا يهدف من ورائها هدفاً معيناً، ثمَّ تصادف أن ارتبطت هذه الأصوات بأشياء معينة فصارت أعلاماً عليها ويقول: " ولذا نرجح أنّ معظم الكلمات قد أخذت مدلولاتها بطريقة المصادفة أي أنّها كانت أصواتاً مبهمة لا هدف منها سوى اللعب والمتعة، ثمَّ تصادف أن نطق بها في أثناء حدث من الأحداث، فارتبطت به ارتباط العلمية، وتدرّج العلم من معناه الخاص إلى معنى عام ". [٥]

وقد أطلق تمام حسان على قضية علاقة الصَّوت بالمعنى اسمين: "الأوّل (المحاكاة)، والثّاني دلالة الكلمة بحرسها على مدلولها، وهو بهذا انتهجَ نهج الخليل في التسمية الأولى، وسارَ خلف ابن جني في التسمية الثّانية". [٦]

---

[١] *ينظر: دلالة الألفاظ*، (1984م)، د. إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية،63.

[٢] ينظر: *بحوث ومقالات في اللغة*،(1984م)، د. رمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة– مصر، مطبعة المدني، 17.

[٣] ينظر: *الدلالة الصوتية في اللغة العربية*، (د.ت)، صالح سليم عبد القادر الفاخري، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، 55.

[٤] *دراسات في فقه اللغة*، (2009م)، د.صبحي الصالح، بيروت– لبنان، دار العلم للملايين، 142.

[٥] *دلالة الألفاظ*،73.

[٦] *الدلالة الصوتية وأثرها في بيان المعنى (آيات المعاد نموذجاً)*، (2014م) ، أ. د. مناف مهدي الموسوي، جنان صاحب كطافة الموسوي، مجلة كلية التربية للبنات والعلوم الإنسانية، العدد 15، السنة الثامنة،18.

وكان للغرب نصيب من الحديث عن علاقة اللفظ بالدلالة، فكانت بين مؤيد ومعارض: " فـ همبلت كان من أنصار المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والدلالات، وقد عارضهُ في هذا الرأي مدفيج، وساق له كثيراً من الكلمات التي لا تتضح فيها هذه الصّلة". [١]

يقول همبلت (HUMBOLDT) " إنّ اللغات بوجه عام تؤثر التّعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الآذان كأثر تلك الأشياء في الأذهان، وإنَّ الكلمات بدت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثمَّ تطورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات وأصبحت الصلة غامضة". [٢]

وهذا يعني أنّ اللغات بدأت محاكاة لأصوات الطبيعة، ثمّ بعد ذلك تطورت تبعاً لحاجات الإنسان. وممن يؤيد ذلك جسبرسن (JESPERSEN) فقد كان أيضاً "ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها غير أنه حذّرنا من المغالاة في هذا، إذ يرى أنّ هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وأنّ بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مرّ الأيام، في حين أنّ كلمات أخرى تكتسبها، وتصبح فيها واضحة بعد أن كانت لا تلحظ فيها. " [٣]

وقد كان يطلق جسبرسن على هذه الظاهرة "تارةً الأصداء (Echoisms)، و تارةً صيحات الانفعال (Exclamation)، أو حكاية الصوت"،[٤] في حين سمّاها ستيفن أولمن التوليد الصّوتي[٥] .

بينما فرديناند دي سوسير (FERDINAND DE SAUSSURE) رائد علم اللغة الحديث يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، إذ يقول :"إن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي،[...] وهكذا فإن المتصور الذهني(أخت)لا تربطه أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالي: الهمزة والضمة والخاء والتاء والتنوين الذي يقوم له دالاً، ومن الممكن أن تمثله أية مجموعة أخرى من الأصوات."[٦] فالدلالة عنده ليست ربط الصورة الحسية للمدلول بالصورة الحسية للدال، وإنما هي الربط بين الصورتين الذهنيتين لكل من الدال والمدلول.

كما أن فندرس "يرى أنهُ من الحمق القول بوجود علاقة بين أصوات الكلمة ودلالتها" [٧] . ويرى ستيفن أولمان (STEPHEN ULLMANN)"أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء. ومن ثم وضعت النقط لتدل على (علاقة مفترضة)، إذ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التي تدل عليها هذه الكلمات"[٨]

ومهما يكن من أمر فإنّ الجدلية في الدّلالة الصّوتية مازالت قائمة بين مؤيّد ورافض، ومؤيد أحياناً ورافض أحياناً أخرى، ولكن ذلك لا يعني الاستسلام لكلا الطرفين دون رؤية توضيحيّة.

---

[١] *دلالة الألفاظ*،68.

[٢] *الدلالة الصوتية في اللغة العربية*،62.

[٣] *دلالة الألفاظ*،68.

[٤] *الدلالة الصوتية وأثرها في بيان المعنى (آيات المعاد نموذجاً)*،18.

[٥] *ينظر: المصدر السابق*،18.

[٦] *دروس في الألسنية العامة*، فرديناند دي سوسير،(١٩٨٥)، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ١١٢/١١١ .

[٧] *الدلالة الصوتية في اللغة العربية*،61.

[٨] *دور الكلمة في اللغة*، (د.ت)، ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب،٦٤ .

ثانياً: نظريّات في محاكاة الأصوات:

1ـ نظريّة محاكاة أصوات الطّبيعة أو نظريّة البو- وو (Bow-wow):

ويرى أصحابها أنّ اللغة نشأت من محاكاة الأصوات المسموعة كأصوات الحيوانات والجمادات، فنباح الكلب اتخذ رمزاً يعبر أو يدل على نفس الحيوان، ويتصور أصحاب هذا الرأي أنَّ الإنسان سمعَ زئير الأسد ومواء الهر، فاتّخذ من هذه الأصوات المتباينة أعلاماً للحيوانات، كما سمع حفيف الشجر وخرير الماء و... فاتّخذ منها أسماءً للظواهر الطبيعية، ثمّ سارت اللغة في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً [١] ، وارتقت تبعاً لارتقاء العقل البشري وقالَ بها فريق من علمائنا القدماء كابن جني إذ قال: " وذهبَ بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هوَ من الأصوات المسموعات كدوي الريح ... وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل" [٢] ، إلّا أنّ بعض النقاد قد سخروا من هذه النظرية ووصفوها بأنّها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات، وقد عرضَ لهذه النظرية كل من (ماركس ميلر MARCUS MULLER) و(رينان RENAN) فرأيا أنّهُ "ليس من المعقول أو المفهوم أنّ الإنسان وهوَ أرقى المخلوقات يقلّد أصوات مخلوقات أدنى منه وأحطّ ليستنبط من تلك الأصوات المبهمة الغامضة كلمات لغته الراقية السامية"، [٣] وفي هذا تجنّ على هذه النظرية؛ فقد غابَ عن هذين اللغويين أنَّ المقصود بالأصوات ليس أصوات الحيوانات فقط، ولكنها كل الأصوات التي تحدثها مظاهر الطبيعة المختلفة.

وقد أخذ إبراهيم أنيس على الذين اعترضوا على هذه النظرية ووجهوا لها انتقادات حادّة، فهو يقول: " لا يصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية في تهكمهم عليها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغرزية، لأنّ وراء هذه الأصوات سوراً حصيناً عنده في الحقيقة تبدأ لغة الإنسان ذات الدلالات المتميزة المتباينة؛ فالمعترضون يفترضون في هذا النوع من الأصوات عقماً، ولا تصلح لأن تنحدر منها تلك الدلالات الإنسانية السامية. ولكن الواقع يبرهن على أنّ كثيراً من كلمات اللغات الإنسانية قد انحدرت عن تلك الأصوات الغرزية المبهمة، ثمّ سمت في تطورها ودلالتها وأصبحت تعبر عن الفكر الإنساني". [٤]

إلّا أنّه في نهاية حديثه عن هذه النظرية يؤكد أنها لا تصلح أن تكون أساساً لنشأة اللغة لأسباب يمكن إجمالها في قوله: "اللغات في وضعها الراهن لا تكاد تشتمل إلّا على قدرٍ ضئيل جداً من تلك الكلمات الواضحة الصلة بين اللفظ والمدلول[...] هذا إلى أنها قد تختلف باختلاف اللغات حتى في الفصيلة الواحدة". [٥]

و هنا نرى إبراهيم يرفض هذه النظرية، لكن ليس للأسباب التي يرفضها ميلر أو رينان.

2 ـ النظرية الثانية هي (Pooh-pooh) نظرية الأصوات التعجبية والعاطفية:

تذهب هذه النظرية إلى أنَّ اللغة الإنسانية بدأت في صورة شهقات، " وأن الكلمات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت أصواتاً تعجبية عاطفية صادرة عن دهشة أو فرح أو وجع أو حزن أو استغراب أو تقزز أو تأفف" [٦] ،

---

[١] *ينظر: دلالة الألفاظ*، 20-21.

[٢] *الخصائص*، 47/1.

[٣] *دلالة الألفاظ*،22.

[٤] المصدر السابق، 21-22.

[٥] المصدر السابق، 22-23 .

[٦] *نظريات في اللغة*، (١٩٨١)، أنيس فريحة، ط٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب اللبناني،١٨.

فيرتبط الصوت الصادر عن الإنسان بالحالة التي هوَ فيها، فعندما يطأ شخص جسماً صلباً فإنّهُ يصرخ (أوه) أو (آه)، وعندما يتضجر من شيء فإنّهُ يتأفف قائلاً (أف)، وهكذا.

إلّا أن هذه النظرية رُفضت، لأنّ " معظم المنادين بهذه النظرية لم يحملوا أنفسهم مشقة البحث في طبيعة تلك الشّهقات أو التأوهات، بل أخذوها قضية مسلمة وأسّسوا عليها فكرتهم". [١]

و"إذا استطاعت نظرية كهذه أن تفسر بضعة ألفاظ فإنها تعجز عن تفسير ألوف من الألفاظ التي لا نرى كيف يمكن أن تكون في أساسها تعجبية عاطفية، أو مشتقة من عناصر تعجبية عاطفية."[٢] فلا علاقة بين صوت الحب أو البغض أو الحصان بالأصوات التعجبية العاطفية.

إنّ مثل هذه الصّرخات أو الصّيحات لا تصدر عن الإنسان عن وعي وإرادة، وإنما هي فجائية لا تصدر عن المرء إلّا حين يعييه القول، أو حين يأبى الكلام، ولهذا السبب أيضاً رفضت هذه النظرية. [٣]

"والحقيقة أن تلك الشهقات والتأوهات لا تعدو أن تكون أصواتاً عرفية تختلف باختلاف الشعوب والأمم. فصوت الدهشة عندنا هو (ah)، وليس (oh) كما هو الحال عند الإنجليز الذين استقى منهم دارون ملاحظته فلكل شعب صوت خاص من البكاء." [٤]

3 ـ نظرية محاكاة الأصوات معانيها Ding–Dong:

قامت هذه النظرية على أساس وجود صلة قوية وثيقة بين ما ينطق به الإنسان، وما يدور في فكره، وهي تدور حولَ أنّ الإنسان يرى الأشياء والحوادث في العالم الخارجي، فيتأثر بما يرى ثمَّ ينطق بسبب هذا التأثر، أي إنَّ الألفاظ ليست إلّا صدى لمؤثرات خارجية، فحركة الجسم تولد صوتاً خاصاً بها يختلف عن صوت لحركة جسم آخر، وكل جسم يرتطم بآخر يولد صوتاً معيناً، فالضرب على الحديد يولد صوتاً معيّناً، يختلف عن الصوت الناتج عن الضرب على الخشب، [٥] إلّا أن هذه النظرية قد تعرضت للنقد لأنها بنيت على أساس غامض وأحاط أصحابها أنفسهم بالألغاز والسحر. [٦]

4 ـ نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية Yo–he–ho:

وملخصها أنّ اللغة الإنسانية نشأت في صورة جماعية عند قيام مجموعة من الناس بعمل شاق مرهق فإنهم قد يتفوهون بأصوات معينة، يجدون في إصدار هذه الأصوات ما يعينهم، أو يساعدهم، أو يخفف عنهم هذا العمل المضني كأن يقوم عدد من العمال برفع شيء ثقيل فيصدرون صوتاً يدل على نقطة البدء أو الانطلاق في العمل ويلمسون في هذا الصوت شحذاً للهمم والحث على عدم التراخي. [٧]

فهذه الأصوات التي تصدر عن جماعة من الناس في أثناء قيامهم بالعمل ترتبط بالعمل نفسه، وتصبح بمثابة علم لهُ.

---

[١] *دلالة الألفاظ*،23.

[٢] *نظريات في اللغة*، ١٩.

[٣] ينظر: دلالة الألفاظ، 23-24.

[٤] المصدر السابق،24.

[٥] ينظر: المصدر السابق،25.

[٦] ينظر: المصدر السابق،25.

[٧] ينظر: *دلالة الألفاظ*،26.

"ولعلّ أهم ما تمتاز به هذه النظرية على النظريات السابقة، أنها عالجت النشأة اللغوية في ضوء المجتمع الإنساني، وربطت بين اللغة والمجتمع ربطاً وثيقاً، في حين أن كل النظريات الأخرى تفترض أن الكلمات الأولى صدرت عن الإنسان المنفرد ثمّ قلده غيره في نطقه." [١]

نرى أن هذه النظرية ربطت بين اللغة والمجتمع، وهذا لا نلاحظه في النظريات الأخرى.

ثالثاً: أثر الصّوامت والصّوائت والصّيغة في الدّلالة على المعنى:

1 ـالصوت اللغوي بين الدال والمدلول:

لقد عدّ الدّكتور حسن عباس معنى اللفظة مأخوذاً من صورتها الصّوتيّة؛ فقد ربط بين أصوات الحروف والحواس والمشاعر الإنسانية، ورأى أن جميع الألفاظ الدالة على أحاسيس شمية وذوقية، ومشاعر إنسانية تعتبر مصطلحات على معانٍ، وأن معاني الألفاظ محصلة أصوات حروفها. [٢]

وكان ابن جني رائد اللغويين القدامى ممن لاحظوا هذه الظاهرة وقرروها، إذ يقول: "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيمٌ واسع ونهجٌ متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها ،وذلك أكثر مما نقدرهُ وأضعاف ما نستشعرهُ {...} ومن ذلك القد طولاً والقط عرضاً، وذلك أنّ (الطاء) أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته والدال المماطلة لما طال من الأثر وهوَ قطعهُ طولاً." [٣] ومن رأيه نتبين أن أن الدّلالة قد تستفاد من أصوات الكلمة نفسها، أي هناك علاقة طبيعية بين الدّال والمدلول.

تكاد جميع الأصوات التي مثل بها ابن جني تتفق مع القاعدة "ففي حال البساطة رأوا الحرف الواحد – وهو جزء من الكلمة – يقع على صوت معين ثم يوحي بالمعنى المناسب سواء أكان في أول اللفظ أم في وسطه أم آخره"[٤] آخره"[٤] ؛ فما وقع في أوّل الكلمة: سَدَّ وصَدَّ "فالسّدُّ دون الصّدّ، لأن السّدّ للباب يسدّ، والمنظرة ونحوها، والصّدّ جانب الجبل والوادي والشعب، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك." [٥] فالسين والصاد مخرجهما واحد، وهما يتفقان في صفتي الرخاوة والهمس، إلّا أن الصاد مطبق، والسين منفتح، والإطباق أشد من الانفتاح ،لذلك جعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها للأضعف. [٦].

والانفتاح صفة في الضعف ومرجع ذلك إلى أعضاء النطق، فالانطباق دلالة على الضغط والانحصار في النفس، وهذه دلالة القوة وبعكسها الضعف يدل عليه الانفتاح وهو عدم الانحصار.

ومما وقع في وسط الكلمة قولهم: "الوسيلة والوصيلة؛ والصّاد – كما ترى _ أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة". [٧]

---

[١] المصدر السابق،26.

[٢] ينظر: *خصائص الحروف العربية ومعانيها*، (دراسة)، (1998)، حسن عباس، منشورات اتّحاد الكتاب العرب،35.

[٣] *الخصائص*، 2/157-158.

[٤] *دراسات في فقه اللغة*،142.

[٥] *الخصائص*، 2/161.

[٦] ينظر: *الدلالة الصوتية في اللغة* العربية،145.

[٧] *الخصائص*، 2/160.

نلاحظ ممّا سبق من الأمثلة التي وردت أنَّ الأصوات المعبرة فيها جاءت في أوّل الكلمة، وفي أوسطها، وفي آخرها، وهكذا تتضح القيمة التعبيرية للصوت المستوحاة من خصائص الصوت نفسه، وأنّ الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى حروفها الثلاثة. ونتيجة تمازجها وتداخلها كما في كلمة (غرق) فمعناها يحصل من تلاقي معاني حروفها، فالغين على الغيبة، والراء على التكرار، والقاف على الاصطدام، فالمعنى الإجمالي الحاصل من اجتماع المعاني الجزئية للحروف هو مفهوم مادة (غرق). [١]

ويظهر أثر الصوت في الدّلالة فيما يتعلق بجانب حكاية الصوت لمعناه، ومن ذلك "جرَّ الشيء يجره قدّموا الجيم لأنها حرف شديد وأوّل الجر مشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء وهوَ حرف مكرر، وكرروها مع ذلك في نفسها". [٢] فلفظ كلمة (جرَّ) يوحي بمعناها وكنه دلالتها كما أنّ هذا اللفظ يصور لنا المشهد الفعلي له.

2 ــ أثر الصوائت في الدلالة على المعنى:

الصوائت مصطلح لغوي اقترحه بعض اللغويين العرب ترجمة لمصطلح (Vowels) الإنكليزي، فأطلق الدّكتور إبراهيم أنيس عليها مصطلح (أصوات اللين) قائلاً: "وأصوات اللين ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وضمة وكسرة، وكذلك ما سموه بألف المد وواو المد وياء المد". [٣]

ومن المعروف أنّ للحركة في اللغة دوراً فاعلاً في توجيه المعنى، لما تحمله من شفافية وانسيابية من الناحية الصّوتية، إذ إنّها تلقي بظلال المعنى في أذن السامع فتحاكي مشاعره، فالصوامت تؤدي المعنى الأصلي للمفردة وتقوم الصوائت بتعديل المعنى، وتخصيص الدلالة؛ "فدلالات الألفاظ لا ينماز بعضها عن الآخر بتركيبه البنائي فقط، وإنما يتغاير عن طريق تغاير الحركات وإن تشابهت البنية واتّحدت" [٤] ،فالعدول من حركة إلى أخرى لابدَّ أن يضفي نوعاً من الجمالية الظاهرية المتمثلة في الصوت والمعنوية المتمثلة في الدّلالة، وهذه الأساليب اللغوية البلاغية مستعملة في الذكر الحكيم بشكل لافت للنظر؛ فنرى في التعبير القرآني عدولاً عن حركة الفتح إلى الضم الذي هوَ أثقل الحركات في الاعتبار الصرفي، ففي كلمة (كرهاً) يقول عزّ وجلّ "ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمّهُ كُرْهاً ووضعته كُرها". [٥] فقد ناسبت ما تشعر به الأم في حملها من مشقة ما تكابده من آلام الوضع والرّضاعة، وذلك لأنّ معنى الكُره بالضم المشقة، وبالفتح الإجبار [٦] ، فالأم غير مكرهة على الحمل، بل راغبة فيه على الرغم ممّا تعانيه من آلامٍ وآهاتٍ كثيرة، فهي من أكرهت نفسها عليه.

---

[١] *ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية– دراسة تحليلية للكلمة العربية لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد*،(1981)،محمد المبارك، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ،105.

[٢] *الخصائص*، 164/2.

[٣] *الأصوات اللغوية*،، (د.ت)، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر،29.

[٤] *أثر الحركة في توجيه الدلالة*،(أيار –2010،) أ.م .د. سعاد كريدي، مجلة أوراك للأبحاث الإسلامية، جامعة القادسية، المقالة 3، العدد 2،22.

[٥] الأحقاف،15.

[٦] ينظر: *أثر الحركة في توجيه الدلالة*،23.

أمّا الكَره بالفتح فيدل على خلاف الرضا والمحبة، وهذا ناسب قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرهاً ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ". [١] فنرى هنا الموافقة بين الصائت القصير، وما يدلُّ عليه من معنى فلم تتغير بنية المفردة، إلّا أنّ الحركة أضفت معنى دلالياً أكثر دقة، ولا شك في أن هذا الفرق في الحركة يشكل نوعاً من الإثارة لدى المتلقي باستفزاز مشاعره وأحاسيسه.

ويمكننا أن نلحظ أنّ الصوائت الأقوى ترافق المعاني الأقوى، فالضمة مثلاً أقوى الحركات –(ومن المعروف أنّ الياء أثقل من الواو من حيث الأداء الصوتي لكن الواو أثقل من الياء من حيث الجهد العضلي المبذول في نطقها)– إذ نلحظ تفوقها على أختيها الكسرة والفتحة في بعض الأبنية الاشتقاقية التي تمتلك الجذر اللغوي ذاته من حيث الصوامت وتسلسلها، وتختلف في صائت واحد، لذلك فإنها ترافق أقوى المعاني، ويدّلنا على ذلك أمثلة كثيرة نحو قولهم: "الذِّل في الدابة ضد الصعود، والذُّل للإنسان وهوَ ضد العز ،وكأنهم اختاروا الفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة لأنّ ما يلحق الإنسان أكبر قدراً ممّا يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة." [٢]

"وقد تنبه النحاة على القوة والضعف في الحركات، فاتفقوا على أن أثقل الحركات وأقواها الضمة، كما أن أضعف الحركات وأخفها الفتحة، وأن الكسرة في رتبة بين الضمة والفتحة، لأنها أخف من الضمة وأثقل من الفتحة."[٣]

"ومعنى القوة في لفظ الذُّل أنّه يتمثل بالقهر، والقهر صعب المأخذ عند الإنسان، أمّا الذِّل فمحمود في الدابة؛ لسهولة مأخذها بتذليلها نفسها، قال تعالى: "أولم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون". [٤] فجُعلت الكسرة مع الذِّل؛ لأنها دون الضمة في القوة." [٥]

وتستوقفنا أيضاً لفظة (كبِر) بكسر الباء و(كبُر) بضمها، فكبِر بكسر الباء يراد بها التقدم في السن وهوَ "نقيض الصغر" [٦] ، قال تعالى: "وقضى ربّك أنْ لا تعبدوا إلّا إياهُ وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنَّ عندكَ الكبِرَ أحدهما أو أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما ." [٧] وكأن الكسرة ناسبت التقدم في السن لِما فيه من ضعفٍ وانكسارٍ، وهذا حال الوالدين في بلوغهما الكبر، أما الثانية كَبُرَ بالضم "عَظُمَ فهو كبير" [٨] ، قال تعالى: "وإن كان كَبُرَ عليكَ إعراضهم ..." [٩] ، ولما كانت الضمة أقوى وأثقل من الكسرة من حيث المجهود العضلي، دلَّت على العظمة والقوة.

ويظهر دور الصوائت على نحوٍ جليّ في المثلثات المتقاربة المعاني، فإنَّ تغيير الحركات وتبادلها يمنح اللفظة دلالات جديدة وأحياناً متقاربة، وبأقل جهد ممكن ومثال ذلك لفظ (الرّقاق) بالضم والفتح والكسر، فـ(الرَّقاق) بالفتح هوَ الأرض المستوية التراب، و(الرِّقاق) بالكسر هو الأرض التي يستوي عليها الماء جنب الوادي، و(الرُّقاق) بالضم هو

---

[١] النساء،19.

[٢] *المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها* ، (1386هـ–1970م)،ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصيف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شبلي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 2/18–19.

[٣] *دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني* ،د. محمد ياس خضر الدّوري، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية،٨٠– ٨١.

[٤] يس، 71–72.

[٥] *دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني*، 80.

[٦] *لسان العرب*، المجلد الخامس، مادة كبر.

[٧] الإسراء،23.

[٨] *لسان العرب*، المجلد الخامس، مادة كبر.

[٩] الأنعام،35.

رغيف الخبز الرقيق المنبَسط [١] ، فالجامع بين الكلمات الثلاث هوَ الاستواء والرّقة، ولا شكَ في أنَّ هذا الأمر يولد ويكثر من عدد مفردات اللغة العربية.

وللصوائت أثر في دلالة المشتقات والمصادر، إذ تأتي منسجمة مع المعنى الذي يقصد إليه المتكلم، فالعدول من بناء صرفي إلى بناء صرفي آخر يكون للمبالغة، فعدولهم عن (فَعيل) مثلاً إلى (فُعال) في الصفة المشبهة لاسم الفاعل غرضهُ زيادة الوصف، فـ (فُعَال) أبلغ من فعيل في الوصف لزيادة مدّة الألف على مدّة الياء، "فاللفظ كقولك (عُراض)، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض، فعُراض إذاً أبلغ من عريض، وكذلك رجل حُسّان ووُضّاء فهو أبلغ من قولك: حسن ووضيء وكُرّام أبلغ من كريم؛ لِأنَّ كريماً على كَرُمَ، وهوَ الباب وكُرّام خارج عنهُ فهذا أشدُّ مبالغة من كريم" [٢] ،فاختاروا للاسم الأكثر مبالغة الألف لما فيها من امتدادٍ صوتيٍّ يناسب المبالغة في الوصف.

وليست غاية العدول الوحيدة المبالغة، فقد يكون العدول من صيغة إلى أخرى بواسطة حروف المد للتمييز بين معنيين، على نحو قولهم "الرزين من الحجارة والحديد والمرأة رزان، فرَّقوا بين ما يحمل وبين ما ثقل في مجلسه فلم يخف [...]" [٣] فمن هنا منحوا الأشياء التي فيها تمنع وتعالٍ الألف، والماديات الياء.

وترتبط دلالات بعض المصادر بالتشكيل الصوتي لصوائتها في البنية ذاتها، "قالَ سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنّها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقران والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال" [٤] فقد جاءت الصيغة على هذا النحو تنبيهاً بالحركة فيه على الحركة في مدلوله، وكل هذا يظهر الأثر الواضح الذي تؤدّية الصّوائت في المصادر والصيغ.

3 ـ أثر الصّيغة في الدّلالة على المعنى:

تقوم الدّلالة الصّرفية على ما تؤدّيه الأوزان الصّرفية وأبنيتها المختلفة من دلالات، فقد اقترنت بعض الصيغ بدلالات خاصة وقد أشار إلى هذا سيبويه في كتابه بقوله "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النزوان والنقزان وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع" [٥] .

وأضاف ابن جني عدداً من الأمثلة منها أنَّ وزن (الفعلى) في المصادر والصّفات يأتي للسرعة نحو الجمزى [٦] ، والمصادر التي على وزن فعيل وفعال تأتي للدلالة على صوت كالصهيل والهدير، [٧] وكذلك المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير إذ قال: " تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة [...] فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر". [٨]

فالمصدر الرباعي تميز من الثلاثي الأصلي بزيادة مقطع يضخم حجم الفعل أو يكررهُ، ليقوي طاقة التعبير بحكاية أصوات الشيء، أو أثره في النفس، ولا نذهب بعيداً فعندما نسمع لفظة قطّعَ نشعر أنها قد

---

[١] ينظر: *لسان العرب*، المجلد العاشر، مادة رقق.

[٢] *الخصائص*، 3/ 46 .

[٣] *معاني الأبنية العربية*، (1428 هـ–2007م)، د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، 90.

[٤] *الخصائص*، 2/ 152.

[٥] الكتاب، 14/4.

[٦] ينظر: الخصائص، 153/2.

[٧] ينظر: معاني الأبنية العربية، 25.

[٨] *الخصائص*، 153/2.

أحدثت إيقاعية خاصة ذات جرس يتصل بالنطق والسماع، كما ولدت نغمة مشوبة بالقوة والعنف، وجاءت هذه النغمة من أصوات قطّع من تكرار صوت الطاء المهموس الشديد [١] الانفجاري، فتكرار الطاء يدل على الكثرة والمبالغة، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

إلّا أنَّ هناك لفتة مميزة ممّا سبق، وهي تقدّم الزيادة على سمت الأصل، ومن ذلك وزن استفعل الذي يأتي في أكثر الأمر للطلب نحو استعطى واستسقى واستطلبَ "فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال، وتفسير ذلك أنَّ الأفعال المحدّث عنها أنها وقعت عن غير طلب، إنما تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع بالصنعة الأصول" [٢] .

.

فصيغة استعطيتهُ تعني طلبتُ منه العطاء فزيادة (ا – س – ت) في مقدمة الفعل عطى هوَ الذي منح الفعل معنى الطلب ومن الملاحظ أن (ا– س– ت) تقدمت على الفعل، وبالتالي تقدّم الطّلب على العطاء.

الخاتمة

نخلصَ إلى أنَّ الكلمات التي ولّدها الإنسان هي محاولة لتقليد أصوات الطبيعة، وإقامة العلاقة بين الصّوت ومدلوله، وأنّ الحركة التي تصدر من الإنسان وما ينشأ عنها من أصوات قد توحي بنوع من الكلمات التي توثق الصلة والاتّصال بين الصّوت والمعنى وهي صلة طبيعية تستمد أصولها وجذورها من المحاكاة التي تلحظ.

فالصوت اللغوي باعتباره حجر الزاوية، والرّكن الأساسي في الوحدة اللغوية العربية يترك على أطراف الكلمة ظلالاً خفية، تساعد الذّهن على تصوّر الأشياء بما فيها من أشكال، وألوان، ودلالات، لا تدلّ عليها أصوات أخرى إذا حلّت محلَّهُ، كما وجدنا أنَّ للصّوائت والصّيغة دوراً لا يقلّ أهمية عن الصّوت اللغوي في توجيه المعنى، وتخصيص الدّلالة، فمن أهمّ خصائص العربية اعتمادها في تغيير معاني كلماتها على تغيير حركاتها.

[١] ينظر: *الأصوات اللغوية*، 27.

[٢] *الخصائص*، 153/2.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

[١]*الاشتقاق*،(١٩٩١)،ابن دريد، *تحقيق عبد السلام محمد هارون*، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الجبل.

[٢]*الأصوات اللغوية*، (د.ت)، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر .

[٣]*بحوث ومقالات في اللغة*،(1984 م) ، د. رمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة – مصر، مطبعة المدني.

[٤]*الخصائص*، (د.ت)، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلميَّة، .

[٥]*خصائص الحروف العربية ومعانيها (دراسة)، (1988م)*، حسن عباس، منشورات اتّحاد الكتاب العرب.

[٦]*دراسات في فقه اللغة، (2009)*، د. صبحي الصالح، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين.

[٧]*دروس في الألسنية العامة*، فردينان دي سوسير،(١٩٨٥)، تعريب صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب.

[٨]*دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني* ،د. محمد ياس خضر الدّوري، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

[٩]*دلالة الألفاظ، (1984)*، د. إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية.

[١٠] *الدلالة الصوتية في اللغة العربية*، (د.ت)، صالح سليم عبد القادر الفاخري، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث.

[١١] *دور الكلمة في اللغة*، (د.ت)، ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشير، مكتبة الشباب.

[١٢] شرح شافية ابن الحاجب، 204هـ .1982م ، *الرضي الاستراباذي نجم الدين محمد بن الحسن*، تحقيق محمد الزفزاف، بيروت، دار الكتب العلمية.

[١٣] *الصاحبي في فقه اللغة وسائلها وسنن العرب في كلامها*، (1418هـ –1997)،أحمد بن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، ط١، بيروت – لبنان دار الكتب العلمية.

[١٤] *فقه اللغة وخصائص العربية* (دراسة تحليلية للكلمة العربية لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد)، (1981)، محمد المبارك، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

[١٥] *الكتاب*، ،(د.ت)، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،ط1، بيروت ،دار الجبل ،الجزء الرابع .

[١٦] *كتاب العين*، (1409هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي،ط2 ، إيران، مؤسسة دار الهجرة.

[١٧] *لسان العرب*، (د.ت)، ابن منظور الإفريقي المصري، بيروت، دار صادر.

[١٨] *المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها*، (1386هـ–1970م)، ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصيف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شبلي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[١٩] *معاني الأبنية العربية*، (1428هـ –2007م)، د. فاضل صالح السامرائي، ط2، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع،.

[٢٠] *المعجم المفصل في الألفاظ الدالة على الصوت في اللسان العربي*، (د.ت)، د. آدم بمبا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

[٢١] *نظريات في اللغة*، (١٩٨١)، أنيس فريحة، ط٢، بيروت ـ لبنان، دار الكتاب اللبناني.

المجلات:

[١]*أثر الحركة في توجيه الدلالة*، (أيار –2010م)، أ. م. د. سعاد كريدي، مجلة أوراك للأبحاث الإسلامية، جامعة القادسية، المقالة3، العدد2، ص ص 9 ـ 36.

[٢]*الدلالة الصوتية وأثرها في بيان المعنى (آيات المعاد نموذجاً)*، (2014م)، أ. د. مناف مهدي الموسوي، جنان صاحب كطافة الموسوعي، مجلة التربية للبنات والعلوم الإنسانية، العدد ١٥، السنة الثامنة، ص ص 12ــ47.